

# معرض الفنان ايلي كنعان . المنظر ... الحكاية وفضاءات الرؤية التجريدية

مهى سلطان منذ 10 أغسطس 2006 / 00:00

الطبيعة وتجلياتها، هي الموضوع الدائم للفنان التشكيلي اللبناني المخضرم ايلي كنعان. لا يقلدها مهما اجتهد، بل يستوحىها يصغي اليها يحاورها ويقتبس من عناصرها وتأثيراتها وتكاوينها، ما يمكنه من اختراق واقع المنظر الأليف إلى ذكراه اللونية، مع قابلية العودة مجدداً إلى هذا الواقع في معادلة معكوسة. فهو لا يرسم في الهواء الطلق، بل يضع لوحته أمامه وما إن يرمي عليها لمساته الأولى حتى تبدأ بالنمو في شكل مطرد مع تشابك الألوان وتحولات الظلال والأنوار وملامح الأشكال. كأن الطبيعة تعيش في داخله، يتحد معها في اسفاره وجولاته وقلقه وصمته. وجل ما يقطفه من الطبيعة هو المناخ اللوني الذي أضى طوال مسيرة أكثر من نصف قرن، مرآة لحكايات ذلك اللقاء ما بين الملون - الرسام والمنظر.

ماذا بعد الأحمر البركاني الذي تتقد ناره من بعيد في فضاء مضطرب؟ وماذا بعد الأصفر الحامض في الحقل الذي يرتاده المتزهون؟ وماذا بعد أزرق المحيط المضطرب الأمواج والخضرة اليانعة للحدائق؟ اسئلة يمكن طرحها على المعرض الجديد لإيلي كنعان الذي يقيمه في غاليري ايبروف - دارتيسست القرية الفنية. ماذا بعد تلك الذرى الأخيرة من توهج اللون واحتراقه الاقصى وجموحه الاستفزازي، سوى الرجعة بقوة إلى العنصر التشبيهي الذي لم يغب كلياً عن مفاصل لوحاته التجريدية بما يتيح قراءة الموضوع بسهولة، ودوماً من مقرب الطبيعة.

فالمعرض الذي يتضمن 36 لوحة زيتية ومائية، يحقق رجعة كنعان إلى الانسان المتنزه العابر الذي يتقاسم المكان في حضرة الطبيعة، بموازاة حنينه إلى الانطباعية المحدثه في تفسيره لبعض الظواهر الضوئية في تمثيل المناظر البانورامية على طريقة الرسامين سينيكا وسوراه. فنراه في مكان يرسم بالتنقيط وفي مكان آخر يمد الألوان في شكل مسطح أو لولبي في تلقائية لافتة. واجمل ما في أعماله انها تدعو الناظر اليها ليعيش في وهم لوني بلا أجل.

الطبيعة مرشدته. يرسمها احياناً كنسيج شرقي مزخرف، يستلهمها كفكرة من مواقع باتت مفردات نموذجية. لكن النموذج وحده لا يفسر سر اللوحة، بل ان المعالجة بالإثارات اللونية وما لها من ضروب الايحاءات والتوافقات تنم عن حساسية عين الفنان وسلوكه وحده في التعبير الغنائي.

الطبيعة المسحورة

إنها الأرياف بامتياز حيث المدى والاعماق الموهومة للحقول في حر الظهيرة وحسناوات الينابيع في اوقات المغيب. إنها ايضاً الطبيعة المسحورة المصحوبة بضوء البروق والعواصف اللونية التي تطيح بالطمأنينة التي تغرق فيها بحيرات الضفاف المسالمة. وفي هذا المناخ من التجريد يتراءى اسلوب الفنان في الايحاء بمعطيات العالم الخارجي

والمشاعر التي يثيرها بالتخلي عن كل شروط التجسيم والتظليل، لقاء الحفاظ بأقل قدر ممكن على المنظورات الخطية والهوائية.

يسعى الرسام إلى التنوع في توافقاته اللونية والى جعل مذاقها أكثر مباحة وأكثر نشوة، فإذا ما وضع الألوان التكاملية من أحمر واخضر فانه يضع في جوارهما الألوان الصماء المخففة والمتدرجة، كعناصر ملطّفة. فكل لون يضعه في حال التمويه بيدٍ خفيفة تتحاشى الدقة، مما يعطي للعمل سحره ونكهته. أما الأشكال الانسانية فهي بلا دور محدد، تكتسب بتأثير معالجة الريشة وجوداً ايمائياً أقل ظهوراً وأكثر غموضاً. هكذا تكتفي الألوان والأشكال في أن تكون تلميحية. فاللوحة المفروشة بالألوان الحمراء تحاذيها باقات من الألوان الزهرية والصفراء حتى تكاد تتحول الحقيقة المرئية شيئاً خيالياً ولا يبقى للأشياء سوى مظاهر طيف. فلا تحتفظ الأشياء بحجومها وأوزانها بل تخفّ وتسعى إلى التسرب كي تصبح مجرد بقع وكتل مستقلة، وفي هذا الالتباس تكمن قوتها الشعرية.

المناخ اللوني المغموس بالنور والزوغ في الرؤية الضبابية للمشاهد الطبيعي هي من العناصر الثابتة في لغة ايلي كنعان. فهو يصل باللون إلى درجة الملموس والمحسوس كالمائع والاثيري والجامد والسائل، في تصويره لمناظر السماء أو ضفاف الشواطئ أو أحضان السهول. كما أن اللون والضوء يدخلان اللوحة من كل جهة، ويتراعى العالم مغموراً بأنواع من التصادمات والتوافقات والتدرجات النورانية.

#### حيوية وجرأة

ايلي كنعان قلب خافق بحب اللون يتدفق بالحيوية والجرأة في أن واحد. رؤاه للموضوعات تأنس في ترددها لقوارب الأنهار وإيقاعات الجبال وربيع الحدائق وألوان المغيّب في اندفاع تصاعدي، حتى ان الحريق يصبح في لوحته مشهداً يقتصر على بهر البصر ليس فيه شيء مأسوي، كما تصبح شجيرات الصنوبر التي اتت عليها النار مجرد عشيبات سود تحيط بها الألوان الرمادية.

فاللوحات التي تبلغ فيها الألوان الحمراء والزرقاء والصفراء أقوى رنينها واندفاعاتها، يقابلها التلوين الخفيف الذي ينقل ليس حقيقة الأشياء إنما ذكراها وإيهاماتها، والغاية الاساسية من تجريد الاشكال الواقعية هي إثارة البصر والعاطفة معاً. هكذا يفتح عالم اللوحة على وابل من الظواهر والإشارات الجوهرية التي تشكل انقشاع اللون ونوره وفضاءه، فتختلط الطبيعة الخارجية وحقيقة الفنان الداخلية.

يصعب فصل قوة اللون الداخلي عن مسارات ايلي كنعان. فهو منذ بداياته في أواخر الخمسينات من القرن الفائت، وجد القدرة على التعبير عن المنظر - الحكاية، بقوة الانفعال والغوص في الأعماق الشعاعية والعزلة ذات المؤدى الرومنسي أحياناً. فأخذت اللمسة الانفعالية تتبلور في صوغ الضربة اللونية التي تتغذى من حرية التعبير كي تكشف أغوار الاحاسيس وأصداء المشاعر. تلك الحرية التي تكشف عن فضاءات ذهنية تلغي الابعاد لتحتضن مسافات المنظر. ومثلما يحو الضباب والمطر إشارات الملامح، كذلك يولد العالم التجريدي وينبتق مخطوفاً من ايقاعات الطبيعة وانفاسها، كالموسيقى أو العطر أو الخاطرة البارقة. كل ذلك في نظام خفي من سحر اللمسات

اللونية التي تذهب ليس إلى فضاءات الحلم فحسب، بل إلى فضاءات الرؤية الجديدة.

## جميع حقوق الطبع محفوظة لموقع الحياة 2019